التكليف النهائي: النظم السياسية المقارنة

أكاديمية الشرق

د. نبيل عوده

07/05/2022

محمد العشوة

تعتبر اتفاقية ويستفا ليه أول معاهدة في العلاقات الدولية، التي تم توقيعها في القرن السابع عشر في أوروبا بين الدول أو الإمبراطوريات التي كانت موجودة آنذاك، جاءت هذه الاتفاقية بعد حروب طويلة كان أخرها حرب الثلاثين عام التي كانت كارثية على الدول المتحاربة، فجاءت هذه الاتفاقية تضع حدا للحرب وتشكل أساسا لنظام دولي فيما بعد. سوف نتناول في مقالنا هذا، البنود الأساسية لاتفاقية ويستفا ليه، ومصادر الشرعية السياسية حسب ماكس ويبر، وسوف نتطرق أيضا لتأثير العولمة على مصادر الشرعية هذه.

أولا: بنود اتفاقية ويستفا ليه 1648، وفقا لما ذكرته الكاتبة (حسين، 2017):

1\_إقرار مبدأ السيادة للدولة وحريتها في إصدار القرارات داخل أرضها.

2\_لكل أمير الحرية في اختيار الدين الذي يريده لمقاطعته مع ضمان حرية الأديان الأخرى.

3\_ضمان عدم الاعتداء على الدول الأخرى أو التدخل في شؤونها الداخلية.

ثانيا: مصادر الشرعية السياسية حسب ماكس ويبر:

استنادا لما يقوله (الكمزاري، 2020)، يعتبر ماكس ويبر أن السلطة السياسية تكون شرعية عندما توجد سلطة متزعمة إصدار القرارات وتكون متبعة فعلا على نطاق واسع، وعليه فقد صنف مصادر الشرعية إلى ثلاث مصادر وهي:

1\_الشرعية المستندة على سلطة العادات والتقاليد (شرعية الأمس الأزلي): تتمثل هذه السلطة في شخص البطريرك أو السيد الإقطاعي أو شيخ القبيلة على سبيل المثال، حيث يستمد هؤلاء الأشخاص شرعيتهم من العادات والتقاليد الموروثة عبر الأجيال والتي تكون ذات طابع مقدس ومحترم من قبل جميع الأشخاص ومطبوعة في ذاكرة الناس والأمة.

2\_الشرعية القائمة على المزايا الشخصية (الشرعية الكارزمية): تستمد هذه السلطة شرعيتها من المزايا الشخصية الساحرة والمتفوقة للحاكم مثل امتلاكه مزايا نادرة وبطولات تجعل منه قائدا ملهما، ويكون الخاضعون فيها يعتقدون بالمزايا البطولية أو الاستثنائية أو الدينية أو الخطابية لشخص ما ويظهرون ولاء مطلقا له بحماس وتفاني وعاطفة.

3\_الشرعية المؤسسية: القائمة على قواعد حكم عقلاني وكفاءة إيجابية عن طريق التزام السلطة والمجتمع بواجبات وحقوق محددة بشكل قانوني، وأيضا تمارس السلطة صلاحياتها من خلال مؤسسات قوية بيروقراطية عقلانية، حيث يكون فيها اللا شخصية والققواعد العامة هي الأساس، ويكون التوظيف السياسي على أساس الكفاءة وليس على أساس المحسوبية أو القرابة، وتعتبر هذه الشرعية هي الشرعية الحديثة.

ثالثا: تأثير العولمة على مصادر الشرعية:

العولمة بشكل بسيط هي زيادة الحركة الاقتصادية وتسهيل حركة رؤوس الأموال والخبرات واليد العاملة والسلع والخدمات حول العالم وزيادة الاعتماد المتبادل بين الدول في السلع والخامات والمعلومات، والربط بين الأنشطة أو القطاعات المحلية والعالمة. (ضمراوي، 2018).

ولتناول تأثير العولمة على مصادر الشرعية السياسية لابد لنا من التفصيل وتناول العولمة وتأثيراتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها، حيث يقول (غليون،2005):

تعمل العولمة على فتح أفاق كثيرة للمجتمعات والجماعات من خلال فرص النمو الاقتصادي والتجاري وإعادة توزيع عناصر الثروة والقوة وبلورت اقتصاد جديد قائم في رأس ماله على التراكم المعرفي، ولكن إن خريطة توزيع القوة والقرار في العلاقات الدولية تحرم المجتمعات والبلدان الصغيرة من القدرة على التأثير في صياغة برامج العولمة الحالية وتجعل من هذه الدول تابع للدول الصناعية والمؤسسات المالية والتجارية العالمية الكبرى، وحتى الدول الصناعية الكبيرة والمتقدمة رغم سيطرتها على المنظمات الدولية كالأمم المتحدة منظمة التجارة الدولية والبنك الدولي وصندوق النقد إلا أنه سيطرتها بدأت بالتلاشي الآن، بالإضافة إلى ذلك فإن الدول الصغيرة والنامية بحاجة لمعونات الدول الكبرى وغير قادرة على بلورة برامج العولمة الخاصة بها.

وتعمل العولمة على تحرير التجارة الدولية وبناء السوق العالمي وتعميم سياسات التخصيص والإصلاحات الهيكلية التي تتوافق وجذب الاستثمارات الخارجية وتنشيط حركة التجارة الدولية وإعادة بناء العلاقات الدولية من منطلق تسهيل حركة التجارة وجعل الحدود السياسية شفافة أمامها، وظهور مشاكل الهجرة والبطالة التي سوف نتناول تأثيرها لاحقا.

وعلى المستوى الثقافي فإن العولمة توصف بالأمركة أو المكدلة حيث أنه ينظر إليها على أنها وسيلة لتعمم أنماط التفكير والاستهلاك الأمريكية، فأمريكا هي المنتج الرئيسي والموزع الأساس لوسائل الاتصالات الجديدة من شبكات الانترنت إلى وسائل الإعلام الجماهيرية إلى الصناعة السينمائية والأفلام والمنتجات الثقافية والصناعية بمعنى أنها المسيطرة على صناعة الثقافة حول العالم، والمنتجات الأمريكية تكاد تحل محل المنتجات المحلية وتقضي عليها وبالتالي تقضي على التراث الثقافي والخصوصيات والمنتجات المحلية في كثير من الدول، فاللغة والتعليم والجامعات والعالم الافتراضي والمسلسلات والأفلام والأغاني وكل ما يمكن وصفه بالقوة الناعمة هو بغالبيته العظمة تقوده الولايات المتحدة الأمريكية بلغتها ورموزها وثقافتها.

وبناء عليه يمكننا أن نستخلص التالي:

1\_تتقلص سيطرة الدولة على التوجهات الاقتصادية، وهذا يعني إعادة بناء المعادلة الوطنية والاجتماعية بشكل يضعف القوى الشعبية والطبقات الفقيرة بحجة إرضاء الحاجات الاجتماعية لصالح أحقية منطق التجارة الخارجية وجذب الاستثمارات الخارجية وتشجيعها وتوطينها.

2\_تهدد العولمة الديمقراطية وتضعفها بقدر ما تنتزع من الشعوب سيادتها لصالح سيادة المؤسسات والشركات العابرة للحدود الدولية منها والمتعددة الجنسيات أيضا.

3\_إن جعل معيار النجاح هو نمو الربح يحرم المجتمعات من المعايير السياسية والاجتماعية والأخلاقية التي تحول دون تحول الربح هدف بحد ذاته.

4\_تعمل العولمة على تفكيك العلاقات الاجتماعية والمدنية.

5\_تلغي العولمة مكتسبات الدولة الوطنية التي كان هدفها إخضاع الرأسمالية الاقتصادية إلى ضوابط الوطنية ومفهومها.

6\_تنشئ العولمة مجتمعا رأسماليا على مستوى العالم لكن دون دولة وطنية، بمعنى أنه مجتمع بدون روح التضامن والآليات السياسية التي تضبط نشاط المجتمع وتقوّم تجاوزاته وتفرض المعايير الإنسانية عليه.

7\_غياب الأجندة الاجتماعية التي كانت تمثلها الدولة الوطنية التي استمدت شرعيتها من تنفيذ أجندة وطنية ساهمت في تحقيق الانسجام بين أفراد المجتمع كبرامج السياسة الديمقراطية وجعل الشعب أصل السيادة والسلطة، والبرامج الاقتصادية وبناء السوق وتأهيل القوة البشرية واستغلال الموارد لصالج المجتمع الوطني، والبرامج الاجتماعية وحل النزاعات وتقليص الفجوات بين طبقات المجتمع، ولا ننسى البرامج الثقافية التي تركز على بناء هوية متميزة للمجتمع من لغة ورياضة وآدب التي تساهم في بلورت شخصية شعب متميزة وتعميق شعور الانتماء والمصير الواحد، كل هذه البرامج أساسها ما يسمى بالعقد الوطني الضمني الذي يعطي للاجتماع المدني السياسي مشروعيته.

8\_عدم قدرت الدولة على لعب دورها السياسي والاجتماعي والثقافي يجعل الشعوب تحت تأثير العولمة بشكل مباشر، ويجعل الفئات الأقوى هي التي تستفيد من العولمة، مما يؤدي مرة أخرى إلى عودة اللامساوة وغياب العدالة الاجتماعية.

9\_تؤدي المنافسة القوية إلى هجرة الصناعات إلى البلدان التي تكون فيها تكاليف العمل والإنتاج قليلة، مما يؤدي إلى خسارة الدول الصناعية للكثير من فرص العمل وارتفاع معدلات البطالة.

10\_تفكك العقد الاجتماعي في الدول التي تستضيف المهاجرين بسبب هجرة اليد العاملة إليها.

بالإضافة إلى ذلك لا ننسى دور المؤسسات والمنظمات العالمية وصندوق النقد الذين يقدمون مساعدات مشروطة للدول النامية وتجعل هذه الدول رهينة لهذه المؤسسات وتكبلها بشروطها واتفاقياتها والتزامات مالية ربما لا تقوى عليها هذه الدول.

كل هذا يجعلنا نلاحظ بلا أدنى شك أن مصادر الشرعية السياسية تتأكل بشكل متسارع في ظل العولمة، فهي تلغي تأثير العادات والتقاليد وتضعفها في المجمعات، وأيضا تضعف سلطة المؤسسات الحكومية والبيروقراطية للدولة لصالح المؤسسات والشركات العالمية وحتى أن تأثير الكاريزما وسلطة الرجل الواحد تضعف في ظل عالم منفتح على ملايين الناس وملايين القصص الملهمة والبطولات وغيرها مما لا يجعل قدسية للبطولة والذكاء والقدرات الشخصية.

وختاما

إذا كان الحال هكذا حتى في الدول المتقدمة، فكيف هو الحال في الدول العربية التي مازالت لم تجد نظرية سياسية توفر لها السلطة الشرعية اللازمة والتي تعينها على البقاء والاستمرار؟.

المصادر:

\_غليون، برهان. (2005). العولمة أثرها على المجتمعات الغربية. [وثيقة Pdf]. تم الاسترجاع من خلال الرابط:

https://www.unescwa.org/sites/default/files/event/materials/19dec05ghalioun.pdf

\_ضمراوي، بانا. (2018). تعريف العولمة. تم الاسترجاع من خلال الرابط:

https://mawdoo3.com/%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D9%81\_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%88%D9%84%D9%85%D8%A9

\_حسين، عبير. (2017). صلح ويستفالية أول اتفاقية دبلوماسية في العالم. تم الاسترجاع من خلال الرابط:

https://www.alkhaleej.ae/%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%A9/%C2%AB%D8%B5%D9%84%D8%AD-%D9%88%D8%B3%D8%AA%D9%81%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A7%C2%BB-%D8%A3%D9%88%D9%84-%D8%A7%D8%AA%D9%81%D8%A7%D9%82%D9%8A%D8%A9-%D8%AF%D8%A8%D9%84%D9%88%D9%85%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85

\_الكمزاري، محمد بن علي. (2020). أشكال الشرعية ومسار الهيمنة في الفكر السياسي لماكس فيبر. تم الاسترجاع من خلال الرابط:

https://shababtafahom.om/post/1208/%D8%A3%D8%B4%D9%83%D8%A7%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D8%B9%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D9%85%D8%B3%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%8A%D9%85%D9%86%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%83%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A-%D9%84%D9%85%D8%A7%D9%83%D8%B3-%D9%81%D9%8A%D8%A8%D8%B1